مدارات لسانية
Linguistic Orbits

إشراف وتقديم

أ.د. عبد السّلام عيساوي

أعمال المؤتمر العلميّ الدوليّ:

الخلفيات العلميّة للنظريّات الدلاليّة

مجمّع الأطرش
لنشر الكتاب المختص وتوزيعه
LATRACH ÉDITION
تونس 2025

الجمهورية التونسية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة منوبة

جامعة منوبة
Université de la Manouba

كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة
مخبر المباحث الدّلاليّة واللّسانيّات الحاسوبيّة

شهادة مشاركة

يسر مخبر البحث «المباحث الدّلاليّة واللّسانيّات الحاسوبيّة»
أن يتقدم بجزيل بالشكر إلى الأستاذ(ة)

أ.د. جليلة يعقوب

على مشاركته/ها الفعالة في أشغال مؤتمر

"الخلفيات العلميّة للنظريات الدلاليّة"

أيام 24 و25 و26 أفريل 2025 - تونس

وسلمت له(ها) هذه الشهادة تقديرا لجهده(ها) العلمي
وإسهامه(ا) البناء في إنجاحه

أ.د. عبد السلام عيساوي
رئيس المخبر

المؤتمر العلميّ الدولي 7

C&R Printy 55 992 990

الفهرس

الإهداء 5

الفهرس 7

المقدّمة 11

الفصل الأوّل

الدلالة في العلوم العرفانيّة أسسها الفلسفيّة وخلفياتها المعرفيّة

التصورات المجردة، نحو منظور متعدد الأبعاد .....

..... **أ.د. محمد غاليم** 17

تشكل المعنى في العقل البشري: مقاربة معرفية – لسانية .....

..... **أ.د. خالد سعيد أبو حكمة** 53

المعرفة الدلالية والإدراك، منظور وظيفي معرفي في فهم وتصنيف المعاني .....

..... **أ.د. عبد المالك بلخيري** 89

الفصل الثاني

الدلالة في الأنظمة اللغويّة واللسانيات

النظر الدلالي عند علماء الأصول وابن حزم .....

..... **أ.د. محمد بنعمر** 115

مراتب التأويل الدلاليّ في الخطاب بين الجويني والآمدي .....

..... **د. محمد الأمين محمد المصطفى** 139

الفصل الثالث
عن علاقة تصوّرات الأنظمة والإجراء والتأويل

أقسام الكلام عند فخر الدين الرازي وِفْقَ مَفْهومَيْ الإخبار والمعلومية ..... **أ.د نواري عبيدي** 153

المكون العرفاني للدلالة من التمثيل إلى التأويل ..... **أ.د. نواري سعودي** 169

مناويل نظريّة في مسألة الإحالة ..... **أ.علي بوخشيم** 237

الفصل الرابع
العلوم العصبيّة وأثرها في النظريات الدلاليّة

تأويلية العلامة وطقوس الدلالة عند كاسيرر وإيكو ..... **أ.د. عماد عماري** 269

نشأة اللّغة وتطوّرها في ضوء علم النّفس الإدراكيّ التطوّريّ المقارن ..... **أ.د. عربيّة اليفرني** 303

الخلفية الفقهيّة لمفهوم المخاطَب المنفي عند عبد القاهر الجرجاني. ..... **أ.د. عادل زارعي** 321

الفصل الخامس
من مظاهر اكتساب دلالة الأبنية وتوظيفها

سمات الضمير «هو» وخصائصه الإحالية ..... **أ.د. محمد الرحالي** 349

نمو معجم الأفعال الذهنية ودور نظرية الذهن ..... **أ.د. حليمة الفاحصي** 383

أثر فرضية تجسّد الذهن في بلورة المفاهيم الدّلاليّة العرفانيّة ..... **أ.د. سندس كرونة** 405

الأفضية الذهنيّة: أصولها المعرفيّة ودورها في إنتاج الدّلالة ..... **أ.د. عبد القادر العثماني** 429

الفصل السادس
المكوّن الدلاليّ في تحليل الخطاب

الأنموذج اللّساني في تحليل الخطاب الشعري خصائصه وحدوده ..... **أ.د. فاتن حسني** 457

إبصار الدّلالة في علميّة الأدب نموذج من «كتاب المناظر» لابن الهيثم ..... **أ.د.جليلة يعقوب** 479

الفصل السابع
الحوسبة الدلاليّة وطرق معالجتها

الدلالة والحجاج. من منظور تحليل استعاري للمعنى ..... **أ.د. تجاني حبشي** 513

العلاقة الجدليّة بين اللّسانيّات العرفانيّة والخلفيّات العلميّة ..... **أ.د. محمد عزيز الأحمر** 527

الفصل الثامن
الدّلالة في اللّسانيات ووظائفها في التّعدّد اللّهجيّ

تعليم العربيّة الفصحى في عصر الذكاء الاصطناعي ..... **أ.د. الشاذلي الهيشري** 561

التّنوّع اللّهجيّ... ثراءٌ أم تشتّتٌ؟ حقل الطّبيخ في اللهجة التّونسيّة أنموذجًا ..... **أ. مفيدة الدّعيزي** 587

الفصل التاسع
طرق تمثيل الدلالة وإدراكها معنى

دلالة الفعل (أبدَ) في ضوء الصناعة المعجمية الحديثة: (دراسة مقارنة بين المعجم الكبير والمعجم التاريخي) ..... **أوئام المسالمة** 629

فكّ اللّبس الدّلاليّ في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة من خلال نماذج من المشترك الصّيغيّ ..... **عواطف السمعلي الزّواري** 657

« التقاطع بين الإعلام والذكاء الاصطناعي: أفق جديد في تشكيل الدلالات وتحليل النصوص» ..... **أ.د. محمد خليل عوده - أ.د.هاديا حمود** 689

رهانات ومميزات الصوتيات اللسانية القرآنية الخصوصية والدلالة ..... **أ.د. بن يحيى طاهر ناعوس** 697

علاقة الغاية مقولة إعرابيّة دلاليّة عرفانيّة ..... **أسماء عاشور** 715

المقدّمة

لم تنشأ العلوم الدلاليّة من محض التفكير الحدسيّ والأدبيات اللسانيّة الصرف، وإنّما نشأت أنساقا محكمة المنهج متماسكة النظام متراصّة البنيان مطردة الكيان. وذلك لأنّ جوهر النماء العلميّ وتحقّقه هي القطائع الإبستيمولوجيّة التي تسم تاريخ العلم وتجيب عن السؤال الذي يطرحه باستمرار المفكرون باستمرار ماذا يمكن أن نفعل لإنتاج معرفة علميّة نافعة؟ فالفلسفة التحليليّة، ولحلّ قضايا فلسفة اللغة وظفت أداة علميّة ناجعة هي الرياضيات المنطقيّة.

ولم تخالف الدلالة هذا السنن ولم تنته إلى غير هذا المصير، فالدلالة البنيويّة مثلا، وإن تمحّضت لدراسة ضروب من الأجناس الأدبيّة في إطار أنساق الشكلانيّة ثمّ ترسّخت منهجا لدى اللسانيين البنيويين، إنّما كانت هويّة المنهج العلميّ الصارم الذي تقارب في ضوئه الظواهر والمسائل في الأدب واللسانيات. ثمّ إنّ الدلالة المنطقيّة نبعت في جوهرها من الرياضيات بصفتها علما صحيحا صارما، فجري تطبيقها على اللّغات الطبيعيّة وتمّ اعتمادها في أنواع الحوسبة اللسانيّة وكلّ ما تعالجه اللسانيات الحاسوبيّة من المعجم إلى مختلف الأبنية والمستويات اللغويّة. وقد أثرت الدلالة في نظرية المجموعات الرياضيّة بما تتضمنه من علاقات معنويّة من تضاد وتضمّن وانتماء وترادف...

ولاشك في أنّ الدلالة القصديّة قد اعتمدت في تأويل مظاهر التلفّظ وأشكاله ودراسة سياقات القول وأعماله وتأثيراته منطقا رياضيّا يستخلص الظاهرة اللسانيّة من التأويل الإنشائيّ إلى الدراسة العلميّة والمنطقيّة القائمة على التطابق بين المقدمات والنتائج.

إبصار الدّلالة في علميّة الأدب
نموذج من «كتاب المناظر» لابن الهيثم[1]

أ.د. جليلة يعقوب
جامعة منوبة، تونس

الملخّص

نبحث في هذه الورقة عن المنظور العلميّ وسرايا المعرفة في المجتمع وخطوط القاعدة، تُثْبت في الزّمن والكتب وترتقي في دلالة اللّفظ وبيان التّخييل وهو يوسّع المعنى ويربط حدود المنهج بتجلّياته في مجالات البحث عمومًا وفي ما يشي بعلميّة الأدب خصوصًا، ذلك أنّ ما يوضع في التّصوّرات لا ينشأ من عدم، فلا هو الكتاب الواحد في الموضوع ولا الاختيار الفرديّ في المفهوم والوضوح، إنّما تتضافر جميعًا في جدليّة الحضور والغياب أو استحضار معرفةٍ في ما يمكن أنْ يرادفها أو ينسّبها في المرجع العلميّ والخطاب الأدبيّ وعقلنة العلم بقياس المنطق والإيمان بتطوّره في آن؛ وهي شبكة علاقات في قراءة المنظور من الطّبيعة والكون ولكن ممّا

(1) محمد بن الحسن بن الهيثم، أبو عليّ (354هـ/ 965م- نحو 430هـ/ نحو 1038م): مهندس من أهل البصرة، يُلقَّب ببطليموس الثّاني. له تصانيفُ في الهندسة. وكُتُبه كثيرة تزيد على سبعين، منها (المناظر) نُشِرَت ترجمتُه إلى اللاّتينية سنة 1572 م، وكان لها - كما يقول سوتر (Suter. H –) أثرٌ بالغٌ في تعريف الغربيّين بهذا العِلم في العصور الوسطى. ومن كتبه (كيفيّة الإظلال) تُرجِم إلى الألمانيّة ونُشِر بها مُخْتَصَرًا، و(تهذيب المجسطي) و(الشّكوك على بطليموس) رسالة، و(الأخلاق) رسالة، قال البيهقيّ: ما سبقه بها أحد، و(مساحة المجسّم المتكافئ) نُشِر بالألمانيّة، و(الأشكال الهلاليّة) و(تربيع الدّائرة) و(شرح قانون إقليدس) و(مساحة الكرة) و(المرايا المحرقة) تُرْجِم إلى الألمانيّة ونُشر بها، و(تفسير المقالة العاشرة لأبي جعفر الخازن) و(ارتفاعات الكواكب) الخ.
خير الدّين الزّركليّ (2002). الأعلام، بيْروت- لبنان، دار العلم للملايين، ط. 15، ج- 6/ ص 83-84.

يمكن تجريده في منظومات فكريّة تختزل الكلّ المعرفيّ؛ وقد اخترنا لتبيين هذا التّعالق نموذجًا من «كتاب المناظر» لأبي عليّ الحسن بن الهيْثم الذي عُرف بإسهاماته الهامّة في عديد العلوم واختبارها تجريبًا وتجريدًا وتدقيقًا في مناهج البحث والعرْض؛ ويُبرّر الاختيار بأهداف هي: 1. العلم: التّصوّرات والحدود إمّا لأسباب موضوعيّة تحكم الطّبيعة وكلّ المُدرَكات الحسّيّة، وإمّا لعِللٍ في الذّات لا تقبل التّاريخ أو تتوهّم تعطيل مساراته؛ 2. علميّة الأدب أين تكمن، في الاختيار أمْ في الحال، وفي بيان البلاغة أمْ في مجازات العبور إلى المعنى الفائض على الفكرة، وهل هي ضرب من إدراك ما لا يُدرَك إلاّ بنقيضه بل بمتْنه علاماته الدّالّة عليه؛ 3. المنطق بيْن أنْ يكون فكرة تتحوّل إلى استقراء في محاكاة لغة الخطاب لمضمونه، أو هو نتيجة لمادّةٍ تجلّياتها عديدة وأسبابها واحدة في الاستدلال بيْن الفيزياء والرّياضيات.

الكلمات المفاتيح: الإبصار؛ الدّلالة؛ العلوم؛ الأدب؛ ابن الهيثم

المقدّمة

تختصّ الكتب العلميّة بمادّتها ولا تنفصل عن سنن التّصنيف عند العرب حين تُنشأ إنشاءً بلاغيًّا في اللّفظ والمعنى يستدعي الحاضر منه السّابق في الموضوع المحتوى والقاعدة وعليهما يُبْنى المجانسُ المختلفُ كـ «المناظر» بيْن ما سبق من مفاهيم ونظريات عند أرسطو (ت. 322 ق. م.) وإقليدس (ت. 283 ق. م.) وبطلميوس (ت. 180 م)، وما أثبته أو صحّحه أو أضافه ابن الهيثم في علْم البصريات، فقد تكون كلّيات البحث في الطّبيعة واحدة ولكنّ للتّفصيل والمراجعة دورًا في تغيير الثّوابت؛ ولغة التّعبير عند ابن الهيْم مرآة لِما كان يبصره في تنوّع الظّاهرة وتغيّر صورها وارتجاعاتها وانعكاساتها بيْن العبارة والعبارة تفترق إحداهما عن الأخرى والمعنى واحد، ولكنّ درجة الدّلالة ارتقاءٌ أيضًا في الحجّة والدّليل، وخصوصيّة في المعجم وموسوعيّة في حقول المعرفة تُوحّدها الطّبيعة في صنعة الكون وتفرّقها العلوم في خصوصيّة البحث، والكلّ يرتدّ إلى الأدب في بيان البلاغة وفصاحة الخطاب،

أمّا الأوّل فمجاز يرادف شبكة العلاقات بيْن العلوم في القاعدة واستخلاص الكلّيّ، وأمّا الثّانية فإجراء يختلف في مجال التّجربة وتصريف الفعل ويتوحّد في منهج التّبليغ وردّ البصر من المادّة في حدّ ذاتها إلى أثرها في إدراك الأشياء وفهمها ولا تأويلَ إلاّ بالقياس إلى أصل سابق غيرِ ثابت، وفرع منظور قيْد الإمكان يفيض على الذّهن والتّصوّر لتصبح الذّاكرة منطقًا في الرّياضيات والفلسفة، وواقعًا في التّجربة والحدود؛ والنّصّ بصبغته الأدبيّة يجمع الكلّ ويحيل إليْه؛ هذه الجوانب نريد استجلاءَها وفق الإشكاليات التّالية: 1. كيْف نبصر الأدب في العلْم والظّواهرُ متعدّدةٌ معقّدَةٌ تحتاج التّثبّتَ وإيجادَ نقاط التّلاقي في غيْر تعسّفٍ وتجريبَ ما لا مجال لتبيّنه إلاّ في الذّهن والذّاكرة؛ وهل الأمر يتعلّقُ بمقامات تشكيل المعنى أمْ بإضافةٍ في توسّع دائرة الشّكّ في الأخبار والمعلومات، وليْس النّصّ في هذا الإطار إلاّ شبكة تواصلٍ بيْن الفعل والتّفكير؟ 2. خصوصيّة مجال البحث بيْن الكونيّ والبصريّ ما قد يخلق فجوة بيْن المتوقّع في التّصوّرات وما يكشف عنه مجال الإبصار في ما انتهى إليْه السّابقون أو الآنيّ في سياق القول ومقام التّلقّي، وليْس الأدب إلاّ الكلّيّ في صيغة المكتوب المُعَبِّرِ عن المرئيّ، ففيمَ إعادة التّأويل وضمان الاستمراريّة في وحدة اللّغة ومرايا الدّلالة؟؛ 3. «المَناظِر» وخصائص البحْث في الفيزيائيّ وإيجاد ما يناظره في المنطق الرّياضيّ والتّجريد العلميّ، والعِلم أيْضًا أُسُس في البلاغة وتقاطعُ استدلال مع استقراء في مقدّمات التّجربة وخواتيم التّعبير تُرجِع الجزء إلى كلّه دون تمثيله.

1. مجانسة القول لموضوعه

1.1. الدّلالة بيْن دوائر الضّوء وخفايا المجاز

المتن في النّصّ علمٌ والقاعدة، بمفهوميْها المرادفيْن للأساس وللأصل الكلّيّ الجامع للجزئيات، مجازٌ تتجلّى فيه الدّلالة على أكثر من صيغة هي بيْن الدّائرة وغيْرها من الأشكال، وبيْن الاتّجاهيْن الأفقيّ في خطّيّة الخطاب والعموديّ في تبيُّنِ درجات المعنى بيْن الأدب والعلم أو «البيان والتّبيين»؛

والاتّجاهُ في الدّائرة ارتداديّ إلى الماضي في المعجم والبلاغة، وفي غيْرها تقدّميّ لا تقليدَ له إلاّ في الضّيْرورة وفي المجهول حتّى يُعْرَفَ؛ يلتقي القول مع موضوعه في الكتابة والتّدوين وهما محور لشيْئيْن مختلفيْن لكنّهما يسيران على نفس الخطّ، فلا يُعرفُ أحدهما إلاّ بالخُلْف والمناورة في تقريب الدّلالة وإرجاع المتعدّد من المعنى إلى أصغر نواةٍ فيه تلك التي تحتوي كلّ المعاني لكن ليْس قبل توسيع دائرة الرّؤية واكتشاف المخفيّ من الصّور، وهي رحلة في الدّلالة عبْر مرحلتيْن: الأولى انطباعيّة مُبهِرة، والثّانية تقريريّة تركّز على الأشعّة وليْس على المحور الذي يتضاءل أمام أحزمة الأشعّة من دقّة البحث العلميّ وتبيُّنِ أنّ الحقيقةَ في الباطن وليس في الظّاهر، وهو الأمرُ ذاتُه في التّكرار اللّفظيّ وسلطة الحجاج الذي يقوم على البصر أصل العلم والمعنى وانعكاسه فيما أراده سابقو ابن الهيثم وأبصروه، وزاد عليْه واستدركه في التّجربة، وبرّر تصنيفَه المعارفَ السّابقة في مجاله إلى مذاهبَ تحتمل التّنسيب والمراجعة، أو كما يقول هو ذاته:

«وقد كنّا ألّفنا مقالةً في علم المناظر سلكنا في كثير من مقاييسها طُرُقًا إقناعيّة، فلمّا توجّهتْ لنا البراهين المحقَّقَة على جميع المعاني المبصرة استأنفنا تأليف هذا الكتاب»[1]

التّجارب حقيقة وواقع ومعاييرها آنيّة في الزّمان والحسّ، زمانيّة في كثافة النّتيجة واختزالها في التّكرار المعنويّ يوهم بصدى المعنى والارتقاء به ترقّي العلم في المنظور البشريّ والتّفكير الذّاتيّ الذي لا ينقطع عن المُشتَرَك في الفيزياء والرّياضيات عبْر التّاريخ. وأنْ تكون لغة الخطاب عند ابن الهيْثم أدبيّةً فهذا لا ينفي اتّسامَها بخصائص العلم، فتصنيف الكتاب ومقالاته على لغة البيان ليس ترفًا وإنّما جزءًا من الإشكال وإيجاد الحلول له من منظور التّفسير وإيجاد ما يرادف القاعدة، وفي هذا السّياق، تُطرح الإشكاليّة من جهة القول

(1) الحسن بن الهيْثم (1983). كتاب المناظر المقالات: 1 - 2 - 3 في الإبصار على الاستقامة، حقّقها وراجعها على التّرجمة اللاّتينيّة: عبد الحميد صبره، الكويت، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، ط. 1، ص 63.

وسياقات التّحوّل أو ما عبّر عنه لاري لودان بقوله:

«لكن ما حجم هذه العلاقة؟ وإذَا طرحنا السّؤالَ المماثلَ على متخصّصٍ في منطق العِلْم (ليبيّن لنا: ما العلاقة بيْن عبارات التّفسير وموضوع التّفسير؟)، سيخبرنا بشكلٍ عامّ: إنّ نظريّة التّفسير (إلى جانب شروط أوّليّة معيّنَة) تستلزم صياغة قضيّة دقيقة للواقعة التي ستفسّرها؛ وكذلك ينبغي أنْ تكون النّظريّة إمّا صادقة أو على درجة عالية من احتمال الصّدق؛ ومهما يكن ما نعتبره بمثابة تفسير كافٍ لأيّة واقعة فينبغي اعتباره كذلك (مادام لمْ يتغيّر التّقييم المعرفيّ لعبارات التّفسير»[1].

الإبصار جزءٌ من قانون الطّبيعة ونظامها، وثنائيات يندرج بعضها في عالم المحسوسات، ويأتي بعضها الآخر في مبادئ الأمثلة وتعدّد المواضع والمظاهر والإرجاع إلى الوحدة في العقل والأنموذج ينشأ من تلقّي الأشياء، مهما يكن نوعها، والعقل يتبيّن أنساقَها وانعكاسَ مظاهرها فيما نتلقّى ونفكّر ونعبّر عنه في أبنية التّخييل العلميّ، وهي الرّموز المستلزَمَة عن علاقة الإجرائيّ بالتّجريديّ أو الدّلالة بالبنية، وكلاهما لا يعني الهدوء ولكنّه القلق المعرفيّ الدّائم في البحث عن دقائق الصّور (في الطّبيعة وفي المجاز اللّغويّ: البيانيّ البلاغيّ والقاعديّ الرّياضيّ) وما به تكون أو تتحوّل، شأنها في ذلك شأن كلّ منهج مُصْطَنَع أو مُحْدَث يتمّ وضعه ارتباطًا «بالواقع التّجريبيّ للعلم»[2] في التّاريخ والصّيرورة أو الاستمراريّة، وهو ما نبيّن في الرّسم التّالي[3]:

(1) لاري لودان (2016). التّقدّم ومشكلاته نحوَ نظريّة في التّطوّر العلميّ، ترجمة: فاطمة إسماعيل، القاهرة- مصر، المركز القوميّ للتّرجمة، ط. 1، ص 34.

(2) عبد الوهاب جعفر (1989). البنيويّة بيْن العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه، القاهرة- مصر، دار المعارف، ط. 1، ص 21.

(3) سمر الدّيّوب (2017). الثّنائيات الضّدّيّة بحثٌ في المصطلح ودلالاته، العتبة العبّاسيّة- العراق، المركز الإسلاميّ للدّراسات الاستراتيجيّة، ط. 1، ص 22.

* البصريات عند ابن الهيْثم بحثٌ مركّبٌ من شتّى المعارف والعلوم؛ لمزيد التّوسّع، انظرْ: الحسن ابن الهيْثم (1983). كتاب المناظر المقالات: 1 - 2 - 3 في الإبصار على الاستقامة، حقّقها وراجعها على التّرجمة اللاّتينيّة: عبد الحميد صبره، الكويت، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، ط. 1، تصدير المحقّق، ص 8-9.

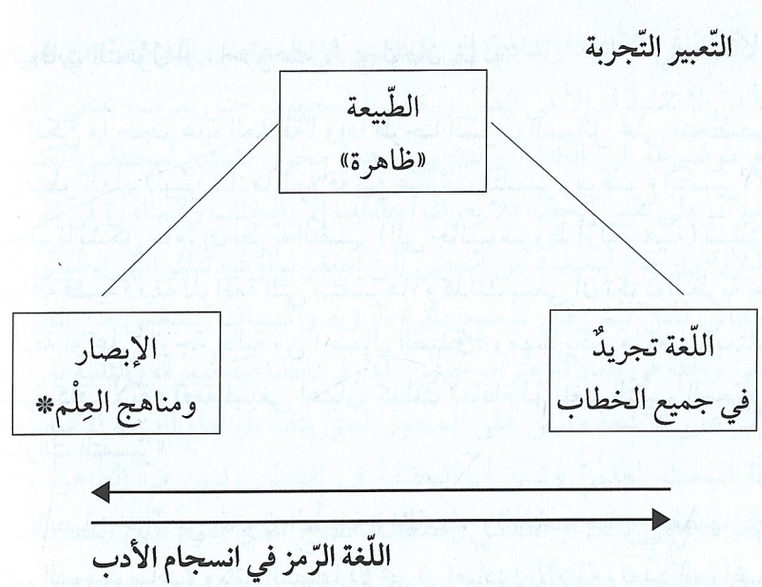

الرّسم 1.1. الإبصار «القانون» في إدراك الصّورة وبيان حمْل المعنى على العقل

الظّواهر البصريّةُ شأنها شأن المجاز البلاغيّ يصوّر المعنى وهو متعدّدٌ، والمسألة ليْست صوابًا أو خطأً وإنّما هي زوايا نظر في التّجربة وخصائص آلياتها، يناظرها مفهوم الدّلالة وتأويلها في الزّمان والمكان، والنّقطة الجامعة هي الاستدلال في الفهم والإقناع، والصّياغة حركة نهائيّة بعد استيفاء جوانب الظّاهرة المدروسة منذ البدايات حتّى لحظة التّدوين في حفظ المعرفة لكن مع الإيمان بسياقات التّحوّل، وهو ما يبرّر حديث ابن الهيْثم عن خصائص المدى القريب والبعيد في الظّاهرة والمعرفة كلتيْهما، أو كما يقول الأزهر الزّنّاد:

«ما به يمكن للبشر تمثُّل المعاني المختلفة المتداخلة المعقّدة والاهتداء إليْها والتّصرّف فيها بما يكتنفها مِنْ ترابط بعضها ببعض في شبكاتٍ مفهوميّة متبدّلة ديناميّة، ومنها ما يتّصل بالوجوه التي يمكن للبشر بها معالجة تلك المعاني بطريقة فضلى ناجعة وبالوجوه التي يتكوّن منها الحدس الجامع

للإلمام بتلك المعاني في تشابكها المُعقّد»[1].

فَتحليل صفات العالم الموضوعيّ كما يراها ابن الهيثم تتوزّع بيْن الإجمال والتّفصيل؛ ثنائيّة أولى تحيل إلى ثانية من خلال المقارنة بيْن مذهبيْن سكَت الكاتب فيهما عن النّوْع والمرجع ولكنّه بيّن بداهة أنْ يكون الخِلاف والخُلْف قائمَيْن بيْنهما، إلاّ أنّ الكاتبَ وضَع قناع الحقيقة لإضفاء شرعيّة العَرْض لأطروحة نقيض أرادها المُشْتَرَكَ في خصائص العلوم وطُرُق تناولها، لكن ضمنيًّا ينسّب الشّائعَ لتأسيس ما يعتبره مقوّمات العلم أو مرجع الحقيقة ومصدرها.

كانت المقارنة في ثلاثة مستوياتٍ: أوّلها في المنهج من حيْث الصّدق والكذب، والكذب والكذب، والصّدق والصّدق أو ما يقارب الحقيقة؛ وثانيها من حيْث الغاية، فإمّا كلا المذهبيْن لمْ يبلغَا الحقيقة في استقصاء البحث، وإمّا أنّ أحدهما بلغ الغاية ولمْ يبلغ المنتهى ممّا كان يريد الوصول إليْه «فَعَرَضَ الْخِلاَفُ فِي ظَاهِرِ الْمَذْهَبَيْنِ»، وفي كلمتيْ «عَرَضَ- ظَاهِرِ» ما يشي بالطّعن ضمنيًّا في المقدّمات والضّمانات التي لمْ تكنْ لتوافقَ النتائجَ، ذلك أنّ اختيار اللّفظ في مرجعيّته المعجميّة ما قد يوافق طريقة تفكير الكاتب وما يريد الاستدلال عليْه، فكأنّ ابن الهيثم يقيم ضمنيًّا مقارنة بيْن المناهج العلميّة والمناهج الأدبيّة والإنسانيّة عامّةً خاصّة التي تكتسب صبغة أيديولوجيّة فتغلّبَ النّزعة الدّغمائيّة في الحُكْم والسّفسطائيّة في العرْض والحِجاج، هذا من ناحية أولى، ومن ناحية ثانية مقارنة بيْن المنهج البرهانيّ المقارِب للرّياضيّات والمنهج الجدليّ المقارِب للواقع والاجتماع؛ وثالثها في المعنى فقد لا يكون الاختلاف قائمًا بيْن المذهبيْن في علاقة بالباثّ بل في ما يذهب إليْه المتلقّي خاصّة إذَا احتكمَ إلى الظّاهر من الأمر أو إلى الحُكْم بالهوى.

(1) الأزهر الزّنّاد (2010). نظريات لسانيّة عرفنيّة، بيْروت- لبنان، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون؛ صفاقس- تونس، دار محمّد عليّ للنّشر؛ الجزائر، منشورات الاختلاف، ط. 1، ص 220.

2.1. الدّلالة نظائرُ في الرّمز مقابلاتٌ في التّأويل

قد يكون المعنى واحدًا بالنّسبة إلى المذهبيْن أو ما يزيد عليْها، أمّا الاختلاف ففي طريقة التّعبير والبحث التي توهم بالتّباعد أو أنّ الأمر كذلك فعْلاً بما أنّ الحقيقة ليْستْ ملك فرد أو جماعة بل هي مجهود كلّيّ يتطلّب التّثبّتَ والتّريّثَ، وهو ما يبيّنه ابن الهيثم في قوله: «وَلَمّا كَان ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَتْ حَقِيقَةُ هَذَا الْمَعْنَى مَعَ اطِّرَادِ الْخِلاَفِ بَيْنَ أَهْلِ النَّظَرِ الْمُتَحَقّقِينَ بِالْبَحْثِ عَنْهُ عَلَى طُولِ الدَّهْرِ مُلْتَبِسَةً، وَكَيْفِيّةُ الإِبْصَارِ غَيْرَ مُتَيَقَّنَةٍ، رَأَيْنَا أَنْ نَصْرِفَ الاهْتِمَامَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِغَايَةِ الإِمْكَانِ»؛ ظرفيّةٌ زمانيّة قرينة الدّلالة والسّياق والمقام في البثّ والتّجريب، وفي التّلقّي والفهْم والتّأويل، وهي تشي بالواقع يصدر عنه الكاتب في العناية بالمنهج العلميّ، ولكنّه، إلى ذلك، متعلّقٌ بالافتراض الذي يسمح بتصوّر المسألة المطروحة في مختلف وجوهها الموجودة ويتمّ التّعرّف إليْها من خلال المعاينة التي قد تعكس الحقيقة في ما هو مرئيّ محسوس لا يتجاوز عالم المادّة في الآن والحين والمكان، والممكِنة في التّجريد يختزل الظّاهرةَ في ما كان ويكون أو سيكون في مطلَق الزّمان والمكان.

استدلّ ابن الهيْثم على هذه الثّنائيّة من خلال تبيين نسبيّة الحقيقة، وأنّ الخلافَ قائمٌ بيْن العارفين لأسبابٍ ذاتيّة، وأخرى موضوعيّة تتوزّع بيْن طبيعة خلْق الإنسان القائمة على القصور والنّقص، وبيْن تبدّل الأحوال والمعايير بتغيُّرِ الشّعوب والثّقافات والحضارات «عَلَى طُولِ الدَّهْرِ»؛ والتّحوّلُ من الحديث عن مناهج الآخرين إلى بيان منهج الذّات محوره «رَأَيْنَا»، فابن الهيثم يقيم الرّؤيةَ على بُعديْن: حسّيّة ماديّة، وعقليّة تأمّليّة في خصائص المنهج وشروطه وهي:

- الاعتراف بأنّ المُطلق محدود، وهو ما يستدعي التّقصّي «بِغَايَةِ الإِمْكَانِ»؛

- صفاء الذّهن وعدم تشتيت الجهود بيْن اهتمامات عديدة بما قد يضيّع الخيْط النّاظمَ في التّفكير والاستقصاء «وَنُخْلِصَ الْعِنَايَةَ بِهِ»؛

- الدّقّة في البحث والتّجريب: «وَنَتَأَمّلَهُ»؛

- جعْل الحقيقة الغاية والمنتهى وملازمة التّجربة والملاحظة والاستنتاج دون التّوقّف عند المحاولة والمحاولتيْن، ودليله: «ونَسْتَأْنِفَ النَّظَرَ فِي مَبَادِئِهِ وَمُقَدِّمَاتِهِ»؛

- اعتبار الطّبيعة وظواهرها أصْل البحْث والمعرفة: «وَنَبْتَدِئُ فِي الْبَحْثِ بِاسْتِقْرَاءِ الْمَوْجُودَاتِ، وَتَصَفُّحِ أَحْوَالِ الْمُبْصَرَاتِ، وَنُمَيِّزُ خَوَاصَّ الْجُزْئِيّاتِ، وَنَلْتَقِطُ بالاسْتِقْرَاءِ مَا يَخُصُّ الْبَصَرَ فِي حَالِ الإِبْصَارِ مَا هُوَ مُطّرِدٌ لاَ يَتَغَيّرُ، وَظَاهِرٌ لاَ يَشْتَبِهُ مِنْ كَيْفِيَّةِ الإِحسَاسِ».

- تبصّرُ الدّلالة في المنهج يساير التّوجّه العلميّ في بنية النّص الأدبيّة، ذلك أنّ ابن الهيثم يستند إلى العوامل الحجاجيّة في ما به تكون اللّغة قرائن دالّة على مفهوم الزّمن وأثره في التّدقيق وإثبات نظريّة ما، ومِن أدلّة ذلك «ثُمّ» قرينة استئناف تربط بيْن الأحداث مع التّراخي في الزّمن، ووجود فاصل زمنيّ قد يطول بيْن الحدث والآخر يرشّح ضرورة عدم التّسرّع أو الاعتباطيّة في وضْع القوانين والقواعد الكلّيّة، وهو ما يُساهم في الارتقاء بالبحث وضبْط مقاييسه، ويدعو إلى عدم اعتبار المقدّمات أشياءً ثابتة أو تمثّل الحقيقة، فإنْ هي إلاّ افتراض حتّى يتمّ الاستدلال عليْها، كذلك النّتائج حتّى وإنْ تواترتْ وتقاربت حتّى تكاد تكون هي هي تبقى مجهودًا بشريًّا لا يرقى إلى اليقين التّامّ، وهو ما عبّر عنه بقوله: «وَالتَّحَفُّظِ فِي النَّتَائِجِ» وذلك بإعمال العقل والبُعد عن الهوى.

2. مفهوم الدّقّة ودلالتها في التّخييل العلميّ

1.2. علميّة الأدب واتّساع دائرة التّأويل

التّخييل العلميّ ليْس بمعزلٍ عن جنس موضوعه ومنهجه لأنّه يقوم على التّفكير النّقديّ استنادًا إلى الحجّة والاستدلال من خلال أساليب التّعبير التي عمد فيها ابن الهيْثم إلى استعمال الكَلِم في مواضعها واتّساقها مع الإبصار بما هو تثبّتٌ وتريّثٌ له ما يُثبته في الحسّ والمنطق أو ينفيه، فليْس كلّ معلومة «حقيقة» ولا كلّ استنتاج غيْر صحيح[1]، وما نُبصرُ قد يكون موجودًا بالفعل أو هو مجرّد خدعة بصريّة، ما يحيل إلى مدى قدرة العقل على تحويل ما يرتدّ إليْه من المبصرات إلى معلومات ومفاهيمَ يمكن أنْ تُبْنَى عليْها النّظريّة؛ تُتَداوَل على العيْن مناظرُ عديدة يستوعبها الدّماغ حسّيًّا لتكُون مادّةً معرفيّة تتكوّن حولها أفكارٌ عديدة، وترجيح بعضها واعتباره الأقربَ إلى الحقيقة يحصل بالتّجارب في كلّ مراحلها، ولها أيْضًا في اللّغة والتّعبير عن الأشياء ما يناظرها[2].

التّخييل العلميّ، من وجه آخر، هو كيْفيّة تحصيل المعرفة، وأنّ الأشياءَ تظلّ ظنًّا وشيْئًا غير مكتمل، وهذا ما يُبرّرُ احتراز ابن الهيْثم في تقديم «كتاب المَناظر» وأنّ البحثَ العلميَّ تساؤلاتٌ قد لا تبلغ اليقين إلاّ في حدود ما تُحيل إليْه الطّبيعةُ من مرئياتٍ؛ ومفهوم الدّقّة قد يظلّ هاجسًا في البحث والتّعبير، وكلاهما مرآة للآخر عند ابن الهيْثم، ولكنّ التّخييل العلميّ قد يتقاطع عنده مع الخيال العلميّ حينَ يُرْبَطُ بتصوّراتِ التّمكّن من المعرفة الدّقيقة وإنشاء عوالمَ أخرى هي جزءٌ من إبصار «الممكن» كما بيّنه إرنست بيتر فيشر (2021)[3]، وذلك متى توفّرتِ العواملُ المساعدة على ذلك؛ الدّقّة في المفهوم والماصدق «في الأصناف الخمسة للمعاني الكلّيّة: من الأجناس،

(1) جوناثان هابر (2022). التّفكير النّقديّ، ترجمة: إبراهيم سند أحمد، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط.1، ص 14.

(2) لمزيد التّوسّع، انظر: زولتان توري (2023). العقل الواعي، ترجمة: إبراهيم سند أحمد، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1، الفصل 5/ 45-51.

(3) إرنست بيتر فيشر (2024). المدهش في العالم ما يجعله العلمُ ممكنًا وغيْر ممكن، ترجمة: منال إسماعيل مرعي، دمشق- سوريا، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، ط. 1. [2021]

والأنواع، والفصول، والخواصّ، والأعراض»[1] -وإنْ كان ثانيهما أسبق في بحث ابن الهيْثم لأنّه ينتقل من الصّورة في الواقع إلى التّعبير عن كيفياتها ثمّ خواصّ علمها-، والخصوصيّة ليْست في التّسمية ولكن في تدقيق المعرفة وأنواعها وآلياتها وفي التّعرّف إلى المتعرَّف عليْه وبه على وجه التّحديد، فاهتمامه منصبّ على أداة الوصف وليْس الموصوف إلاّ سبيله ودليله في كلّ ما يرجع إلى الجذر اللّغويّ (ب، ص، ر)، أو كما يشير يوسف كرم إلى أنّ التّركيبَ موجبٌ، والتّصوّر تقرير، وما بيْنهما مضاهاة في النّسبة لا الماهيّة:

«فإنّ إدراكَ النّسبة مجرّد العلم بإمكان إضافة معنى إلى آخر، وماهية الحُكم الإضافةُ فعلاً والتّصديق بالنّسبة»[2].

والنّسبة جزءٌ ممّا يقوم عليْه منهج ابن الهيْثم في طرْح مسألة البحث العلميّ على جدليّة المفاهيم النّظريّة ومدى تفعيلها قياسًا بتحدّيات الفهْم وكيْفيات الإجراء، بل قد يقترن التّنسيب بالتّجزئة أو التّجربة فتحدّده عوامل ذاتيّة وأخرى موضوعيّة، أمّا الذّاتيّة فتتمثّل في أنّ الوعيَ ذاتيّ في الإدراك والمجتمع إمّا لأسباب خَلْقيّة أو سلوكيّة، وكلاهما مقترنٌ بعلم الأعصاب، كذلك في ثنائيّة الما قبل والما بعد في الوعي وردّة الفعل، وقد يكون ما يُعْتَبَرُ حقيقةً وهْمًا أو تصوّرًا لرؤية الشّيْء[3]، أو أنّ ما نعبّر عنه انطباعاتٌ وليْس ما حدث فعْلاً؛ أمّا بالنّسبة إلى العوامل الموضوعيّة فيمكن تبيُّنها أو إرجاعها إلى أربع نقاطٍ أيْضًا وهي أنّ ما هو مادّيّ في الطّبيعة خاضعٌ للتّبدّل والتغيّر حسب الزّمان والمكان، ثمّ إنّ التّجربةَ وإنْ تكنْ آلياتها واحدةَ فلن تكون إلاّ نُسخًا متعدّدة من أصلٍ وليْس هو بالضّرورة،، كذلك، ما يُبْصَرُ هو حركة من متعدّد في سلسلة تُلْتَقَطُ منها لحظة في الطّبيعة، وليْس للحُكم في العلم إلاّ بوضْع

(1) لمزيد التّوسّع، انظرْ: أنطوان أرنولد & بيير نيكول (2007). المنطق أو فنّ توجيه الفكر، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدّار البيْضاء- المغرب، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط. 1، الفصل 7/ 61-65.

(2) يوسف كرم (2014). العقل والوجود، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1، ص 23.

(3) كريستوفر يارجودسكي & فرانكلين بوتر (2015). عجائب الفيزياء ألغاز ومفارقات وغرائب، ترجمة: محمّد فتحي خضر، القاهرة- مصر، مؤسّسة هنداوي، ط. 1. [2001]

الجزئيّ في الكلّ، وقياس الجزئيات في نشاطها وتطوّرها، فالإبصار مقاديرُ في العِلم ونتائج لعمليات تفكير واستنباط جماعيّة رهينةِ العلاقة بيْن العيْن والدّماغ، والدّماغ والعقل[1].

2.2. توجّهات العلوم شبكات تواصل عبر الصّورة

يجمع ابن الهيْثم في هذا كلّه بيْن التّاريخ والوصْف، والمنهج والنّقد، مراعيًا في ذلك الفروقَ بيْن الزّمنيْن الذّاتيّ والموضوعيّ، وأنْ ليْس شرطًا موافقة الإدراكِ الموجودَ في العالم الخارجيّ، وأنّ المسألةَ بيْن الحقيقة والواقع أو الإرادة وتوهُّم تحقّقها أو الإيهام بها في لغة خطاب قد لا تنفصل بأدبيّتها وإمكانيات التّأويل فيها عن المسارات الكمّيّة في إدراك المظاهر وتبيُّنِ جزئياتها، وكلاهما جزءٌ من عقل ومنطق، وهو ما يمكن اختزاله في الرّسم البيانيّ التّالي:

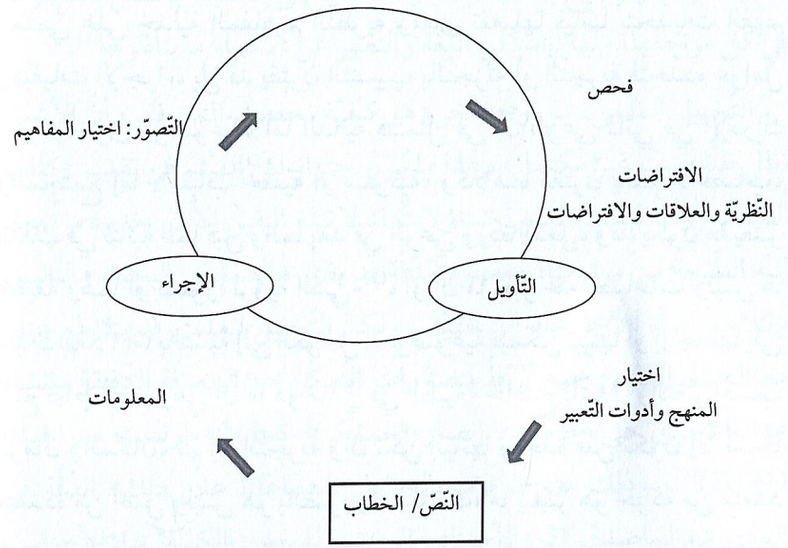

الرّسم 2.2. الأدب والعِلْم دراسةٌ في مسار دائريّ[2]

(1) آناكا هاريس (2022). الوعي دليل موجز للّغز الجوهريّ للعقل، ترجمة: أحمد هنداوي، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1، الفصل 3/ 23-29.

(2) R. **Wodak** & M. **Meyer** (2016). Critical discourse studies: history, agenda, theory and methodology. In R. Wodak. & M. **Meyer** (Eds.) *Methods of Critical*

لغة المجاز هي لغة البيان بمعنييْه: الاستعاريّ والتّوضيحيّ، فليْس الانتقال من الأوّل إلى الثّاني إلاّ عبْر ضمانات وصول في استقراء المشابهة والقراءة «المجهريّة» في إبصار دقائق معاني الكلم واختياراتها ومعرفة «المناظر» وتحوّلاتها في زوايا النّظر ومواقعها، والدّقّة في العلم بوصفها مجالاً مثيرًا للاهتمام من حيْث خصائصُ المعلومات وكيْفيّة التّعبير عنها: بوضوح العلم أمْ بما يقارب الاستعارات في مرونة الفهم والإدراك؛ هي استعارات الخطاب الكلّيّ في التّعريفات والاستخدام حسب القارئ والمقروء: بعلميّة الأدب أمْ بأدبيّة العلم، والحيّزُ المشترَكُ بيْنهما أنّ حجمَ المعلومات قد يُحَدُّ في الآن والمكان، أمّا التّشكيك في مفهوم الدّقّة فيتأتّى من تأصيل العلم في مكوّناته ولغته أو بجعْله متدفّقًا في جدليّة الكمّ والكيْف[1]، وكلاهما يندرج ضمن التّحليل والحجاج، والرّسم والصّورة بيْن الذّات والموضوع، والتّجرّد منها والإخلاص لمحور الحديث في الدّلالة يقترن بالموضوعيّة في العَرْض وما يتطلّب من حيادٍ وتركيز على الأساليب المُستعملة، ويبرز ذلك أنّ المنطق لا يحكم فقط منهج البحث في المسائل بل يبيّن طريقة بناء الأفكار وتوثيقها، فإمّا أنْ يكون الرّبط في تسلسل عاديّ مألوف بِـ «الواو» أو ربْط أسباب بنتائج ومقدّمات بافتراضات قد يكون لها تجلٍّ في الواقع باستعمال «الفاء»؛ وقد يعمد الكاتب إلى تكرار نفس العبارة بألفاظ عديدة مختلفة في الجذر اللّغويّ، متّفقة في الدّلالة مع ارتقاء في سلّم المعرفة حين يقول ابن الهيثم:

- «فَلَعَلَّنَا نَنْتَهِي بِهَذَا الطَّرِيقِ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي بِهِ يُثْلَجُ الصَّدْرُ»// «وَنَصِلُ بِالتَّدْرِيجِ وَالتَّلَطُّفِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي عِنْدَهَا يَقَعُ اليَقِينُ»؛

- «وَنَظْفَرُ مَعَ النَّقْدِ وَالتَّحَفّظِ بِالْحقِيقَةِ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا الْخِلاَفُ»//

Discourse (pp. 1-22), Los Angeles | London | New Delhi | Singapore | Washington DC, SAGE, 3rd Ed., p. 14.

(1) مايكل **هيل** (2004). أثر المعلومات في المجتمع دراسة لطبيعتها وقيمتها واستعمالها، أبو ظبي- الإمارات العربيّة المتّحدة، مركز الإمارات للدّراسات والبحوث الاستراتيجيّة، ط. 1، ص 262.

«وَتَنْحَسِمُ بهَا مَوَادُّ الشُّبُهَاتِ».

ترادفٌ يشي بأنّ جماليّة النّصّ وشعريّة لغته جزء من فنّ الإقناع والتّأثير وأنّ التّدرّج من الاستدلال إلى الاستقراء، ومن الاستقراء إلى الاستدلال هو جزء من افتراضات مسبقة في الدّلالة والعلم، والتّدقيق ذاكرة الأبحاث، والعودةُ إليْها لا تعني أنّها دائرة مغلقة بقدر ما تشي باختبارات جديدة في التّجربة والسَّنَن ضمن تيّارات معرفيّة قد تضيق وقد تتّسع، واتّجاهاتها تساير خطّيّة الزّمن في تربيعه وتراكمه في دوائره، فيكون ضربًا من تداعي المعرفة إلى مضامينَ غيْرِ محدودة، ولكن لابدّ فيها من الالتزام بالقاعدة التي تحدّ المعنى من باب دلالة الشّيْء على أشكاله ومضامينه المختلفة في الطّبيعة واللّغة، المرجعيّة في الرّمز والعِلْم، وهو ما يبيّنه نيقولا ريشر استنادًا إلى «أنواع الوجود الخاصّ بالكلّيات عند المناطقة العرب» بقوله:

«أوّلاً: الكلّيّ المنطقيّ (أو الزّاوية المنطقيّة): وهو مفهوم كلّيّ، أيْ مفهوم ما لا يمنع نفس تصوّر مفهومه من وقوع الشّركة. (وهو ما يُسمَّى باسم العارض).

ثانيًا: الكلّيّ الطّبيعيّ (أو الزّاوية الطّبيعيّة): وهو معروض المفهوم الكلّيّ السّابق.

ثالثًا: الكلّيّ العقليّ (أو الزّاوية العقليّة): وهو المجموع المُركَّب من العارض والمعروض، أيْ من الكلّيّ المنطقيّ والكلّيّ الطّبيعيّ».[1]

إنّ الحجّة والدّليل من الأشياء المشترَكة في دقّة اللّفظ وما يحيل إليه من جُمّاع المعرفة في القواعد والنّحو إثباتًا في اللّغة و«القصد والطّريق» والدّلالة في الظّرف والزّمن المتحوّل، والوسم في إعراب الكلمة الواحدة بأكثر من دليل هو سمت القاعدة في التّنظير والمتحوّل عنها في الإجراء وقوانين

(1) نيقولا **ريشر** (1985). تطوّر المنطق العربيّ، ترجمة ودراسة وتعليق: محمّد مهران، القاهرة- مصر، دار المعارف، ط. 1، ص 59-60.

الطّبيعة، وما فصاحة العرب في لسانهم ونحوهم إلاّ صورة من حرصهم على الأنموذج في كمال الصّورة والشّاهد على الغائب من صحّة العلوم عندهم وعند سائر الشّعوب والعلماء؛ قد يتغيّر القصد بتغيّر العِلْم المُجرى من حيْث خواصّه، أمّا الكلّيّ منه فمصدر النّظائر والأشباه؛ الجنس واحد والأنواع مختلفة، وكذا الإبصار في الجمع والنّظر، والأشياء موضوع الحرف والانحراف واعتماد المعنى في غيْر صورته.[1]

3. علوم الأدب قواعد العِلم

1.3. فيزياء الكون حقيقةٌ في المحور أو إبهار في اللاّمعنى

الأدب والعلم كلاهما شكلٌ في التّفكير ومحاولة لاستيعاب أيّ ظاهرة والتّعبير عنها باللّغة التي تجانسها وتُثبِّتُ قواعدها؛ قد تُقَدِّمُ المعرفة البصريّة في العلم بعضًا من منظورٍ بمفهومٍ حسّيٍّ، ولكنّها في الأدب تنتجه في المعجم، أمّا التّركيبُ فإحالات للمطلق من المعنى الذي يُقارب النّسبيَّ من المعرفة في علم الإبصار والارتقاء فيه إلى صحّة الأصل أو مقاربته، فإذَا الأساليب اختصاصاتٌ في المرجع اتّفاقاتٌ في انتظام الأساليب وتصنيف المعرفة، ولذلك ذهبنا إلى أنّ علوم الأدب أصولٌ في علاقة اللّفظ والمعنى بيْن المعجم والتّركيب النّحويّ، أمّا النّظْم فوهْمُ وضوح وتجلٍّ يتقلّصان بمقامات التّلقّي وخصوصيات الدّلالة، وقد يناظر ذلك في قواعد العلم ما عبّر عنه ياسين خليل بقوله:

«نستخدم لفظة التّجربة بمعنييْن: أوّلهما بمعنى ضيّق والآخر بمعنى واسع، ففي حدود العلوم التّجريبيّة مثل الفيزياء والكيمياء يكون للتّجربة معناها الضّيّق الذي يتضمّن عادةً استخدام الأجهزة العلميّة سواءٌ أكانت بسيطة أو معقّدة، ولكن هذا المعنى سرعان ما يتبدّل في حدود الفلسفة وفلسفة العلوم، فالتّجربة هنا تعني الاختبار سواءٌ أكان معتمِدًا على الأجهزة العلميّة أو على

(1) راجع: أبو الفضل **ابن منظور** (1993). لسان العرب، بيْروت- لبنان، دار صادر، ط.3، ج-14/ ص 214 - 215.

الحواسّ المُجرّدة، »[1]

في مرجعيات اللّغة تنوّعٌ وثراء يتضاعفان في ثنائيّة الذّاتيّ والموضوعيّ والميْل بهما في كلّ وجه إمّا بالإثبات عبْر الحجاج والتّفسير وإمّا بالإعراض عن المقول والمنقول، وفي ذلك اعتراف ضمنيّ بهشاشة التّوجّه ومحاولة تعديله بالإبصار في علوم الأرض وقوانين الحياة فيها وعليْها؛ ويُفترَض أنّ نسبيّة الصّدق فيها مقاربة للعاديّ المألوف في شبه ثباته، أمّا ارتفاع نسبة الكذب ففي التّوسّع في القول دون الجدّ فيه، والشّكوك في النّظائر المعرفيّة استنادًا إلى ما تُبيّنه الظّاهرة الطّبيعيّة في الضّوء والإبصار من نتائجَ قد تخالف ما تقدّم من علم السّابقين[2]، وهو ما يبرّر عقلانيّة الخطاب في علميّة الأدب وأسُس الجدل في العلم؛ العلاقات ذهنيّة في الكتابة والتّدوين، ولكنّ لها بالوقائعيّة رهاناتٍ وصِلاتٍ «إدراكيّة- حسّيّة» بعضها فيزيائيّ مقترن بحالات معيّنَة، وبعضها الآخر افتراضيّ في التّصوّر والتّأويل، ومن نماذجِ ما يتعلّق بعلم الأعصاب الإدراكيّ الذي يدرس الآليات العصبيّة المسؤولة عن أعلى مستويات النّشاط العقليّ لدى الإنسان مثل الوعي والتّمثيلات العقليّة واللّغة، ولكنّ الاحتراز حسب ما جاء في «مقدّمة الطّبعة الإنكليزيّة الأولى 1959» لكتاب «منطق البحث العلميّ»:

«لا يمكن لطريقة إنشاء مناويل اصطناعيّة للّغة حلُّ مشاكلِ نموّ معرفتنا؛ أضفْ إلى ذلك أنّها أقلّ تأهيلاً لذلك من طريقة تحليل اللّغة الاعتياديّة لأنّ هذه المناويل اللّغويّة أفقرُ من اللّغة الاعتياديّة. ونظرًا لفقرها فإنّها لا تُنتِج بطبيعة الحال إلاّ أشدّ المناويل فظاظة وأكثرها تضليلاً لنموّ معرفتنا – مناويل

(1) ياسين **خليل** (1974). منطق البحث العلميّ تحليلٌ منطقيّ لأصول الفكر العلميّ والطُّرُق العلميّة في ضوء النّظريات المعاصرة، بيْروت- لبنان، دار الكُتب العلميّة، ط. 1، ص 145؛ محمّد محمود **الكبيسي** (2009). فلسفة العلم ومنطق البحث العلميّ، بغداد- العراق، بيْت الحكمة، ط. 1، ص 106.

(2) جمال محمّد **أبو شنب** (2009). قواعد البحث العلميّ والاجتماعيّ (٢) «التّصميم والتّنفيذ التّجريبيّ»، الأزاريطة- مصر، دار المعرفة الجامعيّة، ط. 1، ص 63.

النّموّ المستمرّ لأكمة قضايا الرّصد».[1]

الأدب بأجناسه عبْر العصور(الأسطورة، الخرافة، الشّعر، الحكاية المثليّة) يتميّز بالخيال المبنيّ على المنطق ونسْج خطاب له بدايات ونهايات تشحذ الفكر لإيجاد علاقاتٍ بيْن المنطوق اللّفظيّ والواقع الطّبيعيّ والتّطوّر الإدراكيّ، وهي القواعد ذاتها في علوم الطّبيعة والكون والمعارف النّظريّة والتّطبيقيّة[2]؛ والجمع بيْن المجاليْن التقاء الخطّيْن في نقطة الشّرط الأوّليّ أو لزوم القاعدة لِمَا يناظرها في المادّة،[3] والمادّة هي الكون والطّبيعة والإنسان والدّماغ والبصر بيْن التّنظيم الدّاخليّ للجسم والوظائف الخارجيّة لها، أو بيْن النّظام والمثيرات وأنواعها، وهي ذاتها المعلومات البصريّة تستدعي تفسيراتٍ مجالها في الخطّ والشّكل.[4]

صُيَغ القول احتمالاتٌ في الإثبات والنّفي، والمعنى محدود في لفظه وتركيبه، ولكنّه يصبح رهاناتٍ تبرّر احترازاتِ ابن الهيْثم وربطَه المنهج العلميّ بالشّكّ في المقدّمات والنّتائج على حدّ سواء، ذلك أنّ المعنى إذَا قورنَ بما يُرادفه يصير ذا أبعادٍ ثلاثةٍ هي: المرجع، والمحلّ الإعرابيّ والسّياقيّ، والقصْد من التّعبير: هل يُراد به الظّاهر بما يحيل إلى ما يمكن أنْ يماثلَه في المعادلات في الرّياضيّة من نوع: ق أ = ق ب..... = ق ن*[5]

(1) كارل **بوبر** (2006). منطق البحث العلميّ، ترجمة وتقديم: محمّد البغداديّ، بيْروت- لبنان، المنظّمة العربيّة للتّرجمة ط. 1، ص 42.

(2) يمنى طريف **الخولي** (2020). فلسفة كارل بوبر منهج العلم... منطق العلم، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1، ص 208.

(3) تيموثي **وليامسون** (2023). المعرفة وحدودها، ترجمة: رضا زيدان، الرّياض- المملكة العربيّة السّعوديّة، دار معنى للنّشر والتّوزيع، ط. 1، ص 140.

(4) M.F. **Bear**, B.W. **Connors**, & M.A. **Paradiso** (2016). *Neurosciences à la découverte du cerveau*, traduction et adaptation: A. Nieoullon, Paris- France: Éditions Pradel, 4e éd., p. 317.

(5) F. **Hamm** & S. **Kepser** (2008). Introduction. In F. Hamm & S. Kepser. (Eds) *Logics for linguistic structures* (pp. 1-8), Berlin- Germany, Mouton de Gruyter, 1st Ed, p. 4.

[2*] المقصود بِـ **ق**: قصْد، وبالحرف أ: ما عبّر عنه الكاتب (وهنا ابن الهيْثم)، وبالحرْف **ب**:

ولكنّ المعادلاتِ في التّجريد لا تعني بالضّرورة التّوافقَ في المواقف أو الفهم، والمسألة ليست في تباعدِ أطروحةٍ بيْن الأدب والعلم وإنّما في اتّخاذ مثلٍ أو بديلٍ، فالسَّنَن ثابتٌ وما يُقضَى به متحوّل بتحوّل الأنظار والأهداف و«الهروب» من أصول المعنى، ولهذا يدعو ابن الهيْثم إلى بذل الجهد في البحث العلميّ والجمع بيْن مختلَف المناهج والسُّبُل المساعدة على استقصاء الحقيقة، وعدم ادّخار أيّ جهد في ما به تُدْرَك المعرفة في الشّاهد[(1)]، وهو مع ذلك، يعترف بحدود الخلْق البشريّ وأنّ من الغائب ما يعجز الإنسان عن الوصول إليْه حين يقول: «وَمَا نَحْنُ، مَعَ جَمِيعِ ذَلِكَ، بَرَاءٌ مِمَّا هُوَ فِي طَبِيعَةِ الإِنْسَانِ مِنْ كَدَرِ الْبَشَرِيّةِ، ولَكِنَّا نَجْتَهِدُ بِقَدْرِ مَا هُوَ لَنَا مِنَ الْقُوَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَمِنَ الله نَسْتَمِدُّ الْمَعُونَةَ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ».

لمْ يفصّل ابن الهيْثم القول في النّصّ، وهذا طبيعيّ بمَا أنّه «في كيْفيّة الإبصار بالجملة» أو «صدر الكتاب»، ولكنّ الإحالةَ إلى محدوديّة القدرة البشريّة قد تفتح المجال على أنّ البحث في الإبصار لا ينتهي عند الموضوع والمحمول، والمعلوم في الحسّ من حيْث الرّؤية والوقوف عندها أو ربْط ذلك بالحواسّ الأخرى ومدى أثرها في تكوين صورة متكاملة قد تكشف عن «وجود تغييراتٍ أخرى معقّدَة في العالَم الخارجيّ»[(2)] بل في عالم الذّات أيْضًا، والمقصود الجهاز العصبيّ خاصّةً وما يؤثّر فيه من عدّة جوانبَ وفي

فهْم المتلقّي «الأوّل»، وبنقاط التّتابع: توسُّع دائرة الفهم لكلّ متلقٍّ في أيّ زمانٍ ومكان بما يُفسح مجال التّعدّد إلى ما لا نهاية، وتمّ اختزالها في الحرف **ن**؛ والتّعدّد قد يفضي إلى التّناقض.

(1) الشّاهد هو الكيمياء والفيزياء، ومنهما تُسْتَمَدُّ «مفاتيح العلوم» في التّنظير الرّياضيّ، فشَرْحُ الصّور وكمّيّة الموجّهات التي منها تُتَبَيَّنُ خصائص الظّواهر -والبصريات جزءٌ منها- إنّما تكون أطيافًا فكريّةً في البداية، وتمرّ بمحاور الإثبات ودائرة النّظر في الدّائرة وحركتها وما يحدُث في الشّيْء وعبْرَه في المِثْل والخُلْفِ والتّراتب، وينتهي كلّ ذلك إلى رموز هي كلّيات العلوم وجُمّاعها.

ولمزيد التّوسّع في هذه الخصائص، انظرْ مثلاً: محمّد صبري أحمد **عبد المطّلب** (2015). روعة التّماثل في الكيمياء مقدّمة مختصرة، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1.

(2) جيرالد **هوتر** (2010). خبايا العقل، ترجمة: عبد الله حسّان الأنصاريّ، الجيزة- مصر، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط. 1، ص 36.

أنحاء مختلفة (الفيزياء والكيمياء والطّبيعة، وكلّها في مجال العلم وأُسُسه، والحياة البشريّة والإنسانيّة التي توجّهه فتربط الإرادة بالقدرة حتّى في ما هو علميّ أو بيولوجيّ).

2.3. البرهان والتّجريد ومفاتيح «صناعة الذّهن»

النّحو تمشٍّ في النّصّ ومنهج في البحث يجعل العِلْم زمانيًّا وليْس لحظة مُعْرَبَةً، وكلاهما مقاربة تضيف للسّابق وتطرح إشكاليات الأسئلة في بنية المعرفة للمستقبل، وهو جزءٌ من توجّهات ابن الهيْثم في أنّ القواعدَ قد تكون من جنس طبيعة الأشياء في الآن، وقد تخالفها في غيْر الظّرف، وهو ما يجعل المفاهيم والأفكار تنطوي في حدّ ذاتها على التّناقض أو على المتشابه من الدّلالة[(1)]؛ بنية النّصّ حين تجانس موضوعها بيْن الاعتقاد والإثبات أو غياب الدّليل على انسجام الفكر مع معرفة العالم، فقد تنتظم العبارات بكيْفيّةٍ منطقيّة ولكنّها في مضمونها تحيل إلى الاستحالة أو الإمكان أو الضّرورة في تبيُّن الأشياء وتبريرها، ذلك أنّ الحجاجَ في النّصّ يرادف القياسَ والمناظرة في ظواهر الطّبيعة وإبصار وجوه التّشابه بيْنها أو الفروق، ويناظر المنطق في الفلسفة باستخراج التّناقض أو «إيجاد سلسلة من المقتضيات الجزئيّة البسيطة أو اللّوازم (mini-entailment)»[(2)]، ويستدعي المعادلاتِ الرّياضيّةَ التي بقدر ما تشي بالانسجام في تجريدها المُطْلَق فإنّها قابلة بدوْرها للشّكّ متى بُحِثَ لها عن أشباهها في الطّبيعة ودوائر الضّوء أو كمَا يقول جريس لينزي:

«هذا من شأنه أنْ يسلّطَ الضّوءَ على التّوتّر الدّائم النّاتج عن اتّباع المنهج الرّياضيّ في دراسة العمليات البيولوجيّة. إنّ منظور الفيزيائيّ، الذي يعتمد على درجة غيْر منطقيّة تقريبًا من التّبسيط، يكون في خلاف دائم مع علوم الأحياء التي تعجّ بالتّفاصيل غيْر المنظّمة والشّاقّة. في هذه الحالة، تطلّبت

(1) فريديريك **نف** (2020). اللّغة مقاربة فلسفيّة، دمشق- سوريا، دار التّكوين للتّأليف والتّرجمة والنّشر & دار أوغاريت للتّأليف والتّرجمة والنّشر، ط. 1، ص 86.

(2) ريتشارد **سواينبورن** (2020). العقل، الدّماغ، الإرادة الحرّة، ترجمة: مركز دلائل، تعليق: رضا زيدان، الرّياض- المملكة العربيّة السّعوديّة، دار وقف دلائل للنّشر، ط. 1، ص 90-91.

تفاصيل الرّياضيات أوزانًا متطابقة من أجل تكوين أيّ عبارة حاسمة عن الجواذب؛ ومن ثمّ إحراز تقدّم في تمثيل عمليّة التّذكّر بنماذجَ، إلاّ أنّه من المرجّح أنْ يكونَ عالم الأحياء قد رفض هذا الافتراض برمّته»[1].

المادّة بطبعها متغيّرة حسب الظّروف الحافّة بها، ولعلّ الزّمن ممّا يساعد على بلوغ الأصل من المعرفة، وهو الباقي منها بعد التمخّض وتجاوز الشّدائد من المذهب وصوغ الخبر، وليْس ابن الهيثم ممّن يعتني بالتّخييل وما قد يتّصل به من تهويم، وإنّما يتّخذه قدرة تعبيريّة على ثنائيّة الاستدلال والاستقراء وجمْع خواصّ الملاحظات، فعلميّة الأدب هي في تأطير البحث العلميّ والتّعبير عن قوانينه التي في أصلها التّجريبيّ مقترنة بالطّبيعة المحيطة بها[2]، فتتيسّر منعطفات المعرفة ويتمّ التّوصّل إلى أوضح السّبل في متاهات الأيديولوجيات أو المذاهب بعبارته؛ وليْس المقصود بالتّخييل العلميّ عنده الخيال العلميّ وإنّما التّعبير عن شواغل الفكْر العلميّة عبْر المجاز وجعْله قسْمًا من اللّغة في الأدب ومن بيان الحقيقة في العِلْم، وكلاهما جزءٌ من البرهنة في صفة «الأنوار والضّياء» بل أحوال الطّبيعة وجهات التّقلّب فيها، فتكون الخصائصُ اللّغويّةُ مشابهة للأسماء والألفاظ في وصف حقائق العلم وأدقّ ما يمكن الانتهاء إليْه من نظائر اللّغة والتّوسّع في مجال الموجودات والمبصرات (بفتْح الصّاد وكسرها أيْضًا)[3]، فالصّورة ذات تجلّيات عديدة في قطبيْ الأدب والعلم لأنّها تُنشئ ما يتمّ التّفكير فيه من إشكاليات الحديث والمحاكاة، وهي اعتقادات ذاتيّة قد تظلّ كذلك إلى حينٍ قد يطول وقد يقصر، وقد تأتي التّجارب العلميّةُ لإثبات الموضوعيّة أو جعلها عنوانًا لمحتوى هو نفسه شبكة من الاعتقادات في نظريّة المعرفة، ولعلّ هذا ما يبرّر ردّ بعض

(1) جريس **لينزي** (2023). نماذج العقل كيف شكّلتِ الفيزياء والهندسة والرّياضيات فهمنا للدّماغ، ترجمة: نهى صلاح، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1، ص 83-84.

(2) محمود محمّد **عليّ** (2023). التّفكير العلميّ ومستجدّات الواقع المعاصر، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1، ص 31-33.

(3) إدريس **مقبول** (2011). الأفق التّداوليّ نظريّ المعنى والسّياق في الممارسة التّراثيّة العربيّة، إربد- الأردن، عالم الكتب الحديث، ط.1، ص -116 117.

التّعريفات إلى مرجعيّاتها وخصائصها الاصطلاحيّة أكثر من فرض المعجم والتّسميّة[1]، فتقريب المعاني يكون بشرح الظّواهر بمنهج العلم القائم على التّدرّج والنّقد، وعلى نسق الأدب المبنيّ على ضمانات الوصول من المقدّمات إلى النّتائج؛ والمؤلّف بيْنهما عند ابن الهيْثم أنّ الجدلَ محاولةٌ عقليّة للبرهان بوصفه دليلاً يقلّصُ من الشّكّ والتّكذيب ليْس فقط في «علم الإبصار» بل في مختلف العلوم في منهجها وأسلوب التّعبير عنه، ذلك أنّ المعرفة روافد متعدّدة تؤلّف شبكة الكونيّ على النّحو الذي نصوغ فيما يلي:

(1) انظرْ مثلًا: باتريك **شارودو** & دومينيك **منغنو** (2008). معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري- حمّادي صمّود، تونس، منشورات دار سيناترا- المركز الوطنيّ للتّرجمة، ط. 1. [2002]

الجدول التّأليفيّ العلم والأدب مسارات التّلاقي

واقع العِلْم	مجاز الأدب	تمثيل الدّلالة في كليْهما
- الإبصار وجود ماديٌّ في الطّبيعة	* الإبصار عمليّة ذهنيّة تربط المادّة بالتّجريد التّصوّريّ	○ العبارة التي تتّسع للكلّ في الأنموذج الرّياضياتيّ
- «المَناظِر» اختزالٌ للزّمان وسيْرورة فيه من خلال التّجربة وتحديث العِلْم	* الصّور الشّعريّة منارات الطّبيعة ونظرٌ في الأشياء من خلال المشابهة	○ إنشاء الخطاب تقريرٌ لا ينفي الشّكَّ في وظائف الجسم ومدرَكات العقل
- عدسة العيْن خَلْقٌ ومشاهدة ورسم في ما به تكون المُبْصَرَاتُ مبصِرات وانعكاس ضوء ونور	* الطّبيعة والمخلوقات (والعيْن جزءٌ منها معجمٌ في الحقْل، خصوصيّةٌ في الدّلالة تستوجب ردَّ الفرعِ إلى الأصل في منهج استدلاليّ	○ اللّغة منارات التّعبير في التّدرّج من الحقيقة إلى المجاز أو من المجاز إلى الحقيقة، وكلاهما معادلة تستقيم من الاستقراء إلى الاستدلال، وتفتح باب التّثبّت والتّريّث في اتّجاه عكسيّ
- تحوّلات الظّاهرة الواحدة في الإبصار تستدعي القياس بتجلّياتها في غيْر الزّمان وبغيْرها في الزّمان والمكان أيْضًا	* التّحوّلات في اللّفظ والتّركيب يشي بالتّكرار، ولكنّه إفاضة في الدّلالة وارتقاءٌ في سُلّم الحجاج	○ أنساق التّلاقي في مغايرة الخصوصيّة والانفتاح على العيون في العِلْم والأدب الاستثناء فيما يصل منهما أجْوَدُ ما يُعبِّر عـــــــــن الإضافة دون إفاضة
- الأنظمة العلميّة تفكير مستمرّ وتعليق الآنيّ بأصوله في المعرفة والتّأسيس للنّظريات تبيُّنُ ثوابت العِلْم من متغيّراته بُعد موضوعيّ.	* الألفاظ سياقاتُ قولٍ، والدّلالاتُ مقاماتٌ تلفّظ تؤسِّس لخصائص اللّغة البلاغيّة طاقة حجاجيّة جدليّة بُعْد ذاتيّ.	○ الأدب خطاب العِلْم في ما به يكتمل التّعبير عن الشّاهـــــد والغائب الإبصار وتداعيـــات التّغيُّر والتّبدّل فـــي الخارج مـــن الموضوع الوضع بيْن خلاصة العلْم واستعارات البلاغة. **كلاهما يقوم على التّصوّر**

النّتائج

◦ العلم وفروع المعرفة والأسئلة التي تُطْرح في كليهما تكون معطى أوّليًّا في الطّبيعة يتحوّل إلى فكرة وقوّة جاذبة لحركة لامتناهية في الذّهن سببها رؤية الشّيْء الواحد من زوايا متعدّدة تفرز الاختلاف لا محالةَ، وبيْن التّحليل المادّيّ والتّأمّل الفكريّ تنشأ شبكة من التّفاسير لها بداية أو بدايات أمّا غاياتها فنقاط تتابع لمحور لا يستقرّ بما أنّه قائم في الأصل على مادّة لا تستمدّ ماهيتها من ذاتها بل من آثار العوامل الخارجيّة فيها، ولكنّ هذا المتعدّدَ قد يُرجع إلى بنية هي كفاية الموثوق به في العنصر والبيانات أصلها معياريّ في فروع المعرفة وجُمّاعها برهانيّ في العِلم أو في الأنظمة؛

◦ الدّلالة تُبصَر في الأشياء العيْنيّة، وهي في الحقيقة أسبابٌ للوعي المتنامي أو المتطوّر في ما يجعل موضوع الحديث، وهو الإبصار يجانس خصائص اللّغة حين التّدرّج في التّعبير عن نموذج مشترَك من خلال كلماتٍ لا شكّ أنّ بيْنها فروقًا في حدود المعجم، ولكنّ منطق بناء النّصّ ينشئها على ما يوافق مثال التّفكير الفرديّ الذي قد يخالف بقيّة الرّوافد التي استند إليْها ابن الهيْثم في علم الأبصار، ويتجلّى أثرُه في النّتائج المخالفة التي جعلتْ خطابَه يتجاوز حدود البحث العلميّ ليحاكيَ البلاغة والطّاقة الموجودة فيها للحجاج والإقناع وإعادة بناء ما كان يُعْتَقَد أنْ قد استقرّ أمره؛

◦ مبادئ العلوم قواعد بناء النّظريّة ولكن لا تمثّل كلّها إذْ لا بدّ من مراعاة حجّة النّصّ وطبيعة العلم، فالأولى ذاتيّة والثّانية تحاكي الموضوع ويحرص ابن الهيْثم على مقاربة الحقيقة –حتّى وإنْ كان ذلك مستحيلاً– بما أنّ الإنسان وهو يختبر ما في الطّبيعة من الخلْق بيْن الرّائي والمرئيّ تحدث أشياء غير مرئيّة (بالنّسبة إلى قدرات البشر على الإبصار) فيمرّ فيها إلى ربْط الظّاهر بما وراءه وسبيلُ ذلك في الأدب البيانُ في مجازات اللّغة وتنويع مسارات التّلاقي بيْن المعنى والآخر والدّلالة بيْن أنْ تكونَ تفسيرًا لظاهرة أو رموزًا

لعلاقات اللاّمتناهي فيها بيْن الموجود والممكن أو المستحيل؛

◦ ما يعسر الوصول إلى حقيقته في العلم توجَد له منافذ في علميّة الأدب إنْ في المنهج أو في إضافة مفاهيم تجعل المتلقّيَ يتجاوز ظاهر النّصّ إلى تقاطعات المعاني فيه بيْن الوصفيّ والتّأويليّ الذي لا يخرج عن دائرة التّفكير القاعديّ، فإنْ يحدّثْ ابن الهيْثم عن مذاهبَ، وهي كلمة قد تُفهم وفق أكثر من مرجع يحتمل الكثير من التّوجيه التّعصّبيّ، فإنّ التّعصّبَ بهذا المعنى لن يكون إلاّ جزءًا من التّجربة والمعاينة فلا يخرج عنهما إلاّ من حيْث الإغراق في اعتبار ما انتهى إليْه علم الأبصار هو المنتهى، على الأقلّ قياسًا بعصره، وتظلّ المسألةُ عنده دائمًا رهينة العلم كنظريّة ومجال بحث؛

◦ الاستثنائيّ في علميّة الأدب التّبدّلُ والتحوّل في الحقول المعجميّة المُعتمَدَة، والمتغيّر في العلم ما يُفْرَض على الإنسان من تطوّر يُحيل إلى أنّ ما تمّ الانتهاءُ إليْه لا يمثّل إلاّ شيْئًا ضئيلا أمام ما يُستحدث من الأدوات المساعدة على البحث العلميّ، فالمغايرة في علميّة الأدب المجال أو الخارج، أمّا في العلم ذاته فالموضوع أو الدّاخل في عدم انتظامه أو بروز النّادر منه، وهو ما يجعل القاعدة تستدعي عدم الالتزام القطعيّ بها حتّى يتمّ التّعرّف إلى جزئيات التّغيير؛ ثمّ إنّ علميّة الأدب في اللّغة زئبقيّة أمّا في العلم فهي رؤية ونظر ليس للاعتباطيّة فيهما مجال.

الخاتمة

البحث العلميّ والتّخييل البلاغيّ وتقليد التّقنين في كليْهما قد يستقرّ ويستمرّ لكن إلى حين بما أنّ هناك اعتراضاتٍ تدعو إلى القطع مع ما مضى، حتّى فيما يُعتبَر اللّغة الأصل ورمز الثّقافة وعلّة أثرها وتأثيرها في بقيّة الأمم والشّعوب والحضارات؛ المسألة لمْ تكن تخصّ الاختصاص الدّقيق والاختصاصيْن بما أنّ الشّخص الواحد كان يهتمّ بمجالات متعدّدة قد توحي بالاختلاف ولكنّ بينها من الرّوابط نظيرَ العُقَد من نسيج النّصّ وأصداء

الخطاب؛ وابن الهيْثم العالم الموسوعيّ يجسّم هذا التّلاقي في استعارة الصّفة لغير موصوفها الحقيقيّ في العُرْف، ولكنّه الاصطلاح الجامع لعديد الأمثلة في إدراك الكلّيّ من المعرفة، والعِلمُ صيغةٌ ومعجمٌ يوسّعان في الدّلالة الإجراءَ إلى التّنظير، والعكس مقصود أيْضًا؛ إنّ «المناظرَ» صوَرٌ في الوجود المادّيّ والكون واستعارات في تعدّد المعنى حتّى وإنْ كان في القصد الأوّل فرديًّا ولا مجال للشّكّ في تجريده خاصّة وأنّ ابن الهيْثم يركّز على أصول المعرفة والفروق في التّجارب عبْر الزّمان والمكان؛ النّقد قيمة في الأدب ولكنّه منهج في العلوم الدّقيقة، وبيْنهما تتردّد الفكرة بوصفها اعتقاداتٍ قد لا تؤدّي دائمًا إلى التّوافق، ومع ذلك تجعل اختبارات البحث سليلة بعضها في الإثبات والنّفي وفي إبصار الطّبيعة وإدراك عللها..

وفي مشروع قراءةٍ أخرى، هل يمكن للمبدأ أنْ يكون حجّة خادعة أو سببًا حقيقيًّا للاعتقاد في موضوعٍ خياليّ ليْس من خلال الحجّة التي يُقرضه إيّاه بل من خلال مشاعر غيْر واعية قد ترى ألاّ مفرّ من افتراض الوجود. (**Boudon,** 2010)

مُلحق (النّصّ)

وَكُلُّ مَذْهَبَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا صَادِقاً وَالآخَرُ كَاذِباً، وَإِمّا أَنْ يَكُونَا جَمِيعًا كَاذِبَيْنِ وَالْحَقُّ غيْرُهُمَا جَمِيعًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَا جَمِيعًا يُؤَدِّيَانِ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ هُوَ الْحَقِيقَةُ، وَيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ الْقَائِلَيْنِ بِذَيْنِكَ الْمَذْهَبَيْنِ قَدْ قَصَّرَ فِي الْبَحْثِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْغَايَةِ فَوَقَفَ دُونَ الْغَايَةِ، وَوَصَلَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْغَايَةِ وَقَصَرَ الآخرُ عَنْهَا، فَعَرَضَ الْخِلاَفُ فِي ظَاهِرِ الْمَذْهَبَيْنِ، وَتَكُونُ غَايَتُهُمَا عِنْدَ اسْتِقْصَاءِ الْبَحْثِ وَاحِدَة. وَقَدْ يَعْرُضُ الْخِلاَفُ أَيْضًا فِي الْمَعْنَى الْمَبْحُوثِ عَنْهُ مِنْ جِهَةِ اخْتِلاَفِ طُرُقِ الْمَبَاحِثِ، وَإِذَا حُقِّقَ الْبَحْثُ وَأُنْعِمَ النَّظَرُ ظَهَرَ الاتّفَاقُ وانْسَفَرَ الخِلاَفُ.

وَلَمّا كَان ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَتْ حَقِيقَةُ هَذَا الْمَعْنَى مَعَ اطِّرَادِ الْخِلاَفِ بَيْنَ أَهْلِ النَّظَرِ الْمُتَحَقِّقِينَ بِالْبَحْثِ عَنْهُ عَلَى طُولِ الدَّهْرِ مُلْتَبِسَةً، وَكَيْفِيَّةُ الإِبْصَارِ

غَيْرُ مُتيَقَّنَةٍ، رَأَيْنَا أَنْ نَصْرِفَ الاهْتِمَامَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِغَايَةِ الإِمْكَانِ، وَنُخْلِصَ الْعِنَايَةَ بِهِ، وَنَتَأَمَّلَهُ، وَنُوَقِّعَ الْجِدَّ فِي الْبَحْثِ عَنْ حَقِيقَتِهِ، وَنَسْتَأْنِفَ النَّظَرَ فِي مَبَادِئِهِ وَمُقَدِّمَاتِهِ، وَنَبْتَدِئَ فِي الْبَحْثِ بِاسْتِقْرَاءِ الْمَوْجُودَاتِ، وَتَصَفُّحِ أَحْوَالِ الْمُبْصَرَاتِ، وَنُمَيِّزَ خَوَاصَّ الْجُزْئِيّاتِ، وَنَلْتَقِطَ بالاسْتِقْرَاءِ مَا يَخُصُّ الْبَصَرَ فِي حَالِ الإِبْصَارِ مَا هُوَ مُطّرِدٌ لاَ يَتَغَيَّرُ، وَظَاهِرٌ لاَ يَشْتَبِهُ مِنْ كَيْفِيَّةِ الإِحساسِ؛ ثُمّ نَرْقَى فِي البَحْثِ وَالْمَقَايِيسِ عَلَى التَّدْرِيجِ وَالتَّرْتِيبِ، مَعَ انْتِقَادِ الْمُقَدِّمَاتِ وَالتَّحَفُّظِ فِي النَّتَائِجِ، وَنَجْعَلُ غَرَضَنَا فِي جَمِيعِ مَا نَسْتَقْرِئُهُ وَنَتَصَفَّحُهُ اسْتِعْمَالَ الْعَدْلِ لاَ اتِّبَاعَ الْهَوَى، وَنَتَحَرَّى فِي سَائِرِ مَا نُمَيِّزُهُ وَنَنْتَقِدُهُ طَلَبَ الحَقِّ لاَ الْمَيْلَ مَعَ الآرَاءِ. فَلَعَلَّنَا نَنْتَهِي بِهَذَا الطَّرِيقِ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي بِهِ يُثْلَجُ الصَّدْرُ، وَنَصِلُ بِالتَّدْرِيجِ وَالتَّلَطُّفِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي عِنْدَهَا يَقَعُ اليَقِينُ، وَنَظْفَرُ مَعَ النَّقْدِ وَالتَّحَفّظِ بِالْحقِيقَةِ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا الْخِلاَفُ وتنْحَسِمُ بِهَا مَوَادُّ الشُّبُهَاتِ، وَمَا نَحْنُ، مَعَ جَمِيعِ ذَلِكَ، بَرَاءٌ مِمَّا هُوَ فِي طَبِيعَةِ الإِنْسَانِ مِنْ كَدَرِ الْبَشَرِيّةِ، ولَكِنَّا نَجْتَهِدُ بِقَدْرِ مَا هُوَ لَنَا مِنَ القُوَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَمِنَ الله نَسْتَمِدُّ الْمَعُونَةَ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ.

الحسن **بن الهيثم** (1983). كتاب المناظر المقالات: 1 – 2 – 3 في الإبصار على الاستقامة، حقّقها وراجعها على التّرجمة اللاّتينيّة: عبد الحميد صبره، الكويت، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، ط. 1، ص –61 62.

المصادر والمراجع

العربيّة والمُعرّبة

ابن منظور، أبو الفضل (1993). لسان العرب، بيْروت– لبنان، دار صادر، ط.3. [الجزء– 14]

ابن الهيْثم، الحسن (1983). كتاب المناظر المقالات: 1 – 2 – 3 في الإبصار على الاستقامة، حقّقها وراجعها على التّرجمة اللاّتينيّة: عبد الحميد صبره، الكويت، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، ط. 1.

أبو شنب، جمال محمّد (2009). قواعد البحث العلميّ والاجتماعيّ (٢) «التّصميم والتّنفيذ التّجريبيّ»، الأزاريطة- مصر، دار المعرفة الجامعيّة، ط. 1.

أرنولد، أنطوان & **نيكول**، بيير (2007). المنطق أو فنّ توجيه الفكر، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدّار البيْضاء- المغرب، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط. 1. [1662]

بوبر، كارل (2006). منطق البحث العلميّ، ترجمة وتقديم: محمّد البغداديّ، بيْروت- لبنان، المنظّمة العربيّة للتّرجمة ط. 1. [1934]

توري، زولتان (2023). العقل الواعي، ترجمة: إبراهيم سند أحمد، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1. [2014]

جعفر، عبد الوهاب (1989). البنيويّة بيْن العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه، القاهرة- مصر، دار المعارف، ط. 1.

خليل، ياسين (1974). منطق البحث العلميّ تحليلٌ منطقيّ لأصول الفكر العلميّ والطُّرُق العلميّة في ضوء النّظريات المعاصرة، بيْروت- لبنان، دار الكُتب العلميّة، ط. 1.

الخولي، يمنى طريف (2020). فلسفة كارل بوبر منهج العلم... منطق العلم، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1.

الدّيّوب، سمر (2017). الثّنائيات الضّدّيّة بحثٌ في المصطلح ودلالاته، العتبة العبّاسيّة- العراق، المركز الإسلاميّ للدّراسات الاستراتيجيّة، ط. 1.

ريشر، نيقولا (1985). تطوّر المنطق العربيّ، ترجمة ودراسة وتعليق: محمّد مهران، القاهرة- مصر، دار المعارف، ط. 1. [1964]

الزّركليّ، خير الدّين (2002). الأعلام، بيْروت- لبنان، دار العلم للملايين، ط. 15. [الجزء- 6]

الزّنّاد، الأزهر (2010). نظريات لسانيّة عرفنيّة، بيْروت- لبنان، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون؛ صفاقس- تونس، دار محمّد عليّ للنّشر؛ الجزائر، منشورات الاختلاف، ط. 1.

سواينبورن، ريتشارد (2020). العقل، الدّماغ، الإرادة الحرّة، ترجمة: مركز دلائل، تعليق: رضا زيدان، الرّياض- المملكة العربيّة السّعوديّة، دار وقف دلائل للنّشر، ط. 1. [2013]

شارودو، باتريك، & منغنو، دومينيك (2008). معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري- حمّادي صمّود، تونس، منشورات دار سيناترا- المركز الوطنيّ للتّرجمة، ط. 1. [2002]

عبد المطّلب، محمّد صبري أحمد (2015). روعة التّماثل في الكيمياء مقدّمة مختصرة، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1.

عليّ، محمود محمّد (2023). التّفكير العلميّ ومستجدّات الواقع المعاصر، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1. [2014]

فيشر، إرنست بيتر (2024). المدهش في العالم ما يجعله العلمُ ممكنًا وغيْر ممكن، ترجمة: منال إسماعيل مرعي، دمشق- سوريا، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، ط. 1. [2021]

الكبيسي، محمّد محمود (2009). فلسفة العلم ومنطق البحث العلميّ، بغداد- العراق، بيْت الحكمة، ط. 1.

كرم، يوسف (2014). العقل والوجود، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1. [1956]

لودان، لاري (2016). التّقدّم ومشكلاته نحوَ نظريّة في التّطوّر العلميّ، ترجمة: فاطمة إسماعيل، القاهرة- مصر، المركز القوميّ للتّرجمة، ط. 1.

لينزي، جريس (2023). نماذج العقل كيف شكّلتِ الفيزياء والهندسة والرّياضيات فهمنا للدّماغ، ترجمة: نهى صلاح، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1. [2021]

مقبول، إدريس (2011). الأفق التّداوليّ نظريّ المعنى والسّياق في الممارسة التّراثيّة العربيّة، إربد- الأردن، عالم الكتب الحديث، ط.1.

موران، إدغار (2012). المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها (الجزء الرّابع)، ترجمة: جمال شحيّد، بيْروت- لبنان، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، ط. 1. [1991]

نف، فريديريك (2020). اللّغة مقاربة فلسفيّة، دمشق- سوريا، دار التّكوين للتّأليف والتّرجمة والنّشر & دار أوغاريت للتّأليف والتّرجمة والنّشر، ط. 1.

هابر، جوناثان (2022). التّفكير النّقديّ، ترجمة: إبراهيم سند أحمد، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1. [2020]

هاريس، آناكا (2022). الوعي دليل موجز للّغز الجوهريّ للعقل، ترجمة: أحمد هنداوي، وندنسور- المملكة المتّحدة، مؤسّسة هنداوي، ط. 1. [2019]

هوتر، جيرالد (2010). خبايا العقل، ترجمة: عبد الله حسّان الأنصاريّ، الجيزة- مصر، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط. 1. [2009]

هيل، مايكل (2004). أثر المعلومات في المجتمع دراسة لطبيعتها وقيمتها واستعمالها، أبو ظبي- الإمارات العربيّة المتّحدة، مركز الإمارات

للدّراسات والبحوث الاستراتيجيّة، ط. 1. [1999]

ولياميسون، تيموثي (2023). المعرفة وحدودها، ترجمة: رضا زيدان، الرّياض- المملكة العربيّة السّعوديّة، دار معنى للنّشر والتّوزيع، ط. 1. [2000]

يارجودسكي، كريستوفر & بوتر، فرانكلين (2015). عجائب الفيزياء ألغاز ومفارقات وغرائب، ترجمة: محمّد فتحي خضر، القاهرة- مصر، مؤسّسة هنداوي، ط. 1. [2001]

الأجنبيّة

Bear, M.F., **Connors**, B.W., & **Paradiso**, M.A. (2016). *Neurosciences à la découverte du cerveau*, traduction et adaptation: A. Nieoullon, Paris- France: Éditions Pradel, 4e éd. [2015]

Hamm, F. & **Kepser** S. (2008). Introduction. In F. Hamm & S. Kepser. (Eds) *Logics for linguistic structures* (pp. 1-8), Berlin- Germany, Mouton de Gruyter, 1st Ed.

Boudon, R. (2010). *La sociologie comme science*, Paris, La Découverte, 1ère éd.

Wodak, R., & **Meyer**, M. (2016). Critical discourse studies: history, agenda, theory and methodology. In R. Wodak. & M. Meyer (Eds.) *Methods of Critical Discourse* (pp. 1-22), Los Angeles | London | New Delhi | Singapore | Washington DC, SAGE, 3rd Ed.